صِفَاتٌ مُنْجِيَاتٌ

(خطبة جمعة 2 من صفر 1435هـــ الموافق لـــ 3 جانفي 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ

﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا

﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم – ، وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في جمعتنا المباركة هذه، حديثنا يدور حول:

صِفَاتٍ مُنْجِيَاتٍ

أمانيّ النّاس على قدر اهتماماتهم، هناك من تجده طول حياته يتمنّى اعتلاء المناصب، وهناك من يحلم بكثرة الأموال، وهناك من يحلم بالجنان والنّجاة من النّيران، ولكلّ هؤلاء وهؤلاء سلوكاتٌ لبلوغ الأهداف، ومنها بذل الوقت والجهد للوصول إلى ذلك، فلكلّ جائزةٍ تضحياتٌ، ولكلّ منصبٍ ضريبةٌ.

ثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال:

{ سبعةٌ يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه:

1- إمامٌ عادلٌ،

2- وشابٌّ نشأ في عبادة الله،

3- ورجلٌ قلبه معلّقٌ بالمساجد،

4- ورجلان تحابّا في الله، اجتمعا عليه وتفرّقا عليه،

5- ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ، فقال: (إنّي أخاف الله)،

6- ورجلٌ تصدّق بِصَدَقَةٍ، فأخفاها حتّى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه،

7- ورجلٌ ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه }.

من فضل الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الأعمال ينال صاحبها جزاءًا خاصًّا، بل فيه علامةٌ على نجاته من عذاب الله تعالى، ودخوله الجنّة الّتي فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ.

وقد ذكر لنا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – في هذا الحديث جزاء هؤلاء السّبعة، الّذين تميّز كل واحدٍ منهم بميزةٍ تفضّل الله تعالى عليه بعتقه من العذاب، وسلامته من العقاب، ونجاته من النّيران، وتنعّمه بالجنان، وقد ذكر النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – هذا الفضل لغير هؤلاء السّبعة في أحاديث أخرى، كالغازي في سبيل الله، والّذي ينظر معسرًا، ومعين الغارم، وكثير الخطى إلى المساجد، فالعدد لا يراد به الحصر.

الخصلة الأولى – العدل بين النّاس:

إخوتي الكرام، إنّ الحديث يقصد الرّجال والنّساء على حدٍّ سواءٍ، اللّهمّ إلاّ في الإمامة الكبرى والّتي لا تتولاّها المرأة في الإسلام، لقول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لا يفلح قومٌ وَلَّوْا أمرهم إمرأةً**)،

واختلفوا هل تتولّى القضاء أم لا، ولكنّها في باقي المناصب إن عدلت كان لها هذا الأجر، كأن تكون مديرة مدرسةٍ أو غير ذلك، وكذلك الرّجل سواءًا كان مديرًا لشركةٍ أو إمامًا أو قاضيًا، أو مسؤولاً في شركةٍ إن عدل بين العمّال، فإنّ ذلك ممّا يوجب نجاته يوم القيامة، هذا إن كان موحّدًا مُؤَدٍّ للفرائض.

العدل أساس الملك، والعدل محقّقٌ للأمن والإطمئنان، فإنّ المظلوم قد ينتفض يومًا ما فيأتي على الأخضر واليابس، وأمر الله تعالى بالعدل في كلّ ميدانٍ حتّى بين الزّوجات وبين الأولاد، قال – صلّى الله عليه وسلّم – : (**اتّقوا الله واعدلوا بين أولادكم**),

وذكر الإمام العادل في أوّل الحديث، لأنّ منفعته متعدّيةٌ إلى أفراد المجتمع كلّه.

الخصلة الثّانية – شابٌّ نشأ في عبادة الله:

مرحلة الشّباب من أهمّ المراحل، تقوى فيها العزيمة، وتزيد الحيويّة، وتنشط رغباتٌ في ذلك، فمن تغلّب على أهوائه ونزواته وراح يعبد الله ويطيعه، في حين يفضّل شبابٌ آخرون اللّهو والعبث والخمر والمخدّرات والمراقص بحجّة (**نريد أن نزهى، ما زلنا صغار، وبعد ذلك نتوب**)، من قال لك أنّه لا يمكن أن تتمتّع بالحلال الطّيّب، من قال لك أنّ الله يمهلك حتّى تتوب، إنّ ممّا يعين الشّباب على سلوك طريق الله تعالى ما يلي:

أ– طلب العلم والإنشغال به: (**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سهّل الله له طريقًا إلى الجنّة**).

ب– تعويد النّفس على استغلال وقتها بطرقٍ متنوّعة، كَبِرِّ الوالدين وقضاء حوائجهما، وقراءة سيرة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – وسيرة السّلف الصّالح:

(**خير القرون قرني، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم**)، وتعلّم رياضةٍ من الرّياضات فيها تقويةٌ للجسد على طاعة الرّحمٰن.

ج- مصاحبة الصّالحين ممّن يحرص على الفرائض ويتجنّب الكبائر: (**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**).

د- الحرص على استغلال مرحلة الشّباب، حيث تقلّ التّكاليف في حفظ كتاب الله تعالى وحديث رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، روى مسلمٌ عن عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – أنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – قال: (**إنّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين**).

فمن حفظ هذا القرآن وعمل بهذا القرآن، تصديقًا بأخباره، وتنفيذًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، واهتداءًا بهديه، وتخلّقا بما جاء به من أخلاقٍ، فإنّ الله يرفعه في الدّنيا والآخرة، تريد أن يرفعك الله فَالْتَزِمْ القرآن.

روى التّرمذيّ، وقال حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، عن ابن عبّاس – رضي الله عنهما – قال: { قال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**إنّ الّذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرب**) }.

الصّنف الثّالث – رجلٌ معلّق قلبه بالمساجد:

هناك من تعلّق قلبه بالتّلفاز، وهناك من تعلّق قلبها بالأفلام، وهناك من تعلّق قلبها بالكليبّات، وهناك من تعلّق قلبه بالملاعب، وهناك من تعلق قلبه بالأسواق،

وهناك من تعلّق قلبه باللّباس أو المودة، وهناك من تعلّق قلبه بالمقاهي والقيل والقال وله في ذلك شهوةً أيّما شهوةٍ، وهناك بين هؤلاء قلّةٌ قليلةٌ وصفوةٌ صافيةٌ وقلوبٌ طاهرةٌ وعقولٌ أنارها الله تعلّق قلبها بالمساجد، في وقت الصّلوات حاضرةٌ، في وقت الحلقات حاضرةٌ، في وقت القراءة والذّكر حاضرةٌ، ما إن تنصرف عن المسجد حتّى تتمنّى الرّجوع إليه بشغفٍ كبيرٍ، المسجد فيه علمٌ وذكرٌ ومذاكرةٌ وطمأنينةٌ وسكينةٌ، يبعد المرء عن رؤية المنكرات، وتنجلي همومه وهو قريبٌ من الله تعالى، حيث يعيش في روضةٍ من رياض الجنّة.

الصّنف الرّابع:

وممّا ينجي العبد يوم القيامة ويعتقه من النّار ويكرّمه بالجنّة والخير والنّعيم، المقيم علاقته مع النّاس، العلاقات بين النّاس قائمةٌ على أسسٍ متعدّدةٍ من مصالحٍ مادّيةٍ وقرابةٍ وشراكةٍ ماليّةٍ، والإسلام يشجّع أن تكون علاقات النّاس قائمةً على المبادئ لا على المنافع، لأنّ المنافع غير دائمةٍ، فتجعل العلاقات لا تدوم ولا تستمرّ، بينما الأخوّة الإسلاميّة دائمةٌ مستمرّةٌ، ولذلك آخى النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – المهاجرين والأنصار على أساس العقيدة والمبادئ، لا على أساس المصالح والمنافع.

يقول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**أوثق عرى الإيمان الحبّ في الله والبغض في الله**)،

(**فمن أحبّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**).

وما جمعه الرّحمٰن ما ينبغي أن تفرّقه تجارةٌ أو انقطاع مصاهرةٍ أو خلافٌ فقهيٌّ.

أحبّ النّاس في الله، اخدم النّاس يحبّونك، اسْعَ في حاجة النّاس يحبّك النّاس، أحسن إلى النّاس تستعبد قلوبهم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

وأشهد أن لا إلـٰـه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

الصّنف الخامس:

الإنسان مخلوقٌ من قبضةٍ الطّين ونفخة الرّوح، وقبضة الطّين تمثّل الشّهوات والرّغبات الّتي جبل عليها الإنسان، لكنّ الإنسان ليس حيوانًا، ومن ثمّ جعل الله له ضوابطًا لتحصيل رغباته بطرقٍ مشروعةٍ ألا وهو الزّواج:

{ يا معشر الشّباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوّج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصّوم، فإنّه له وجاءٌ (أي حمايةٌ) **}.**

وشهوة النّفس من أشدّ الرّغبات على الإنسان، وعلى المسلم الحذر منها، وذلك أن يأخذ بمذهب سدّ الذّرائع، فليحذر كلّ نظرةٍ تولد عشقًا، ويحذر كلّ خلوةٍ تفضي إلى حرامٍ، وليتفطّن إلى خطوات الشّيطان:

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿168﴾ " سورة البقرة.

وخطوات الشّيطان نظرةٌ فابتسامةٌ، فكلمةٌ فلقاءٌ، فموعدٌ فحرامٌ، ولذلك قال عليه الصّلاة والسّلام: (**لئن تُضْرَب بِمِخْيَطٍ في رأسك، خيرٌ لك من أن تصافح امرأةً**).

وقال عليه الصّلاة والسّلام: (**يا علي لا تُتْبِعْ النّظرة النّظرة، فإنّك لك الأولى وعليك الثّانية**).

وقال – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لا يخلو رجلٌ بإمرأةٍ إلاّ كان الشّيطان ثالثهما**).

وإذا كان الشّيطان ثالثك فاعلم أنّك واقعٌ في الحرام لا محالة، فاتّهم ضعف نفسك واحتط لحالك، قبل أن تندم حيث لا ينفع النّدم.

ورجلٌ دعته امرأةٌ ذات منصبٍ وجمالٍ، فقال: (**إنّي أخاف الله**)، قالها بلسانه، وصدّقها عمله حينما أبى لقاءها، حينما أبى صحبها، حينما أبى معاكستها، رغم أنّها كانت في أبهى حلّةٍ وأجمل صورةٍ، ذلك هو عنوان الخوف من الله، الّذي ينقذ من العذاب ويكرم بالجنات.

وقد قلنا في بداية الكلام أنّ الحديث لا يختصّ بالرّجال إلاّ في الإمامة، وتعلّق الرّجل بالمساجد، فإنّ المرأة الّتي قد بلغت الثّلاثين يعاكسها الرّجل في الطّريق فتأبى الإلتفات إليه، يلحّ عليها ويقول لها كلامًا معسولاً، يمنّيها بالزّواج والإستقرار على أن تخرج معه في نزهةٍ ونزهةٍ واحدةٍ فقط، فيأبى إباؤها وتأبى عفّتها، ويأبى إحسانها لأبيها، والّتي تحرص على شرفه، كيف لا وقد أكرمها وأطعمها وربّاها وحماها طيلة عقودٍ كثيرةٍ، ولربّما جاع لتشبع، وتعرّى لتكتسي، فتأبى الحرّة أن تكون لئيمةً، تردّ الإحسان إساءةً، بحجّة الحبّ، أو بحجّة الزّمن، أو بحجّة تحصيل النّصيب، أو بحجّة صويحباتها اللّواتي ظفرن بالزّوج عن طريق المخادنة أو المصاحبة.

وامرأةٌ دعاها رجلٌ ذا منصبٍ وجمالٍ وسيّارةٍ ومالٍ، فقالت: (**إنّي أخاف الله**). فهذه ممّن تنجو يوم تبوء بإثمها الفاجرة اللّعوب.

الخصلة السّادسة – الإنفاق في سبيل الله:

اعلموا إخوتي الكرام،

أنّ هذا الدّين يخدمه في المقام الأوّل عالمٌ وغنيٌّ، فهذين الصّنفين إن كانا في المستوى حصل من الخير والصّلاح للأمّة ما لا يخطر على بالٍ، فالصّدقة أجرها جزيلٌ، وَتُقَرِّبُ صاحبها من الجنّة، ورضا ربّ العالمين، وتحجبه عن النّيران، فالصّدقة تفرح الأرملة واليتيم والمسكين، وبالصّدقة ينشر العلم، ويرغّب الطّلبة، وينفق عليهم ليتمّوا دراستهم ثمّ يعلّموا الأمّة، وبالصّدقة تنشأ المساجد والمدارس والمستشفيات ودور الأيتام.

ولذلك قال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – حينما جهّز عثمان – رضي الله عنه – جيش العسرة: (**ما ضرّ عثمان بعد اليوم**)، يعني أنّ صدقته تلك تكفيه لبلوغ مراده في النّجاة من النّار ودخول الجنّة.

والخصلة الأخيرة:

وهي ذكر الله تعالى في جوف اللّيل، أو في خلوةٍ حيث لا رياء ولا رجاء في سمعةٍ، ولا طمع في منفعةٍ، وبمثل هذا الذّكر تصفو القلوب وتطهر الجوارح، إلى درجة أن يتذكر المؤمن فضل الله عليه، فيخشع فتدمع عينه خوفًا من الله، ويتذكّر تفريطه وتقصيره وعصيانه، فيخشى عقاب الله فتدمع عينه.

فتكون هذه الدّموع علامةً على توبةٍ وإنابةٍ تنجي من النّار وتدخل الجنان.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْنًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،

اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،

اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،

اللّهمّ فرّج كربة الفلسطينيين ومحنتهم،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.